الطبعة الثانية

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

لبنان- حارة حريك - مجمع الإمامين الحسنين عليهما السلام

هاتف: ٠١/٥٥٧٠٠٠ - ٥٤٤٤٠٢ / ٠١

العراق- النجف الأشرف- قرب مسجد الحنانة

هاتف: ٠٧٨١٢٣٢٦٤٩٠

sayedfadlullah@gmai.com
info@tawasolonline.net
info@fadlullahlibrary.com
www.sayedfadlullah.org
www.tawasolonline.org
www.fadlullahlibrary.com
youtube/sayyedfadlullah
youtube/tawasolonline
facebook/SayyedFadlullan
facebook/islamicculturaliraq

الشيخ جميل الربيعي

الزّيارة

تعهد والتزام ودعاء

في مشاهد المطهرين

المركز الإسلامي الثقافي

لبنان-بيروت العراق-النجف الأشرف

«السَّلامُ عَلَيْكَ يا أَبا عَبْدِ الله، السَّلامُ عَلَيْكَ يا ابْنَ رَسُولِ الله، السَّلامُ عَلَيْكَ يا ابْنَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا ابْنَ فاطِمَةَ الزَّهْراءِ سَيِّدَةِ نساءِ العالَمِينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا أَبا الأَئِمَّةِ الهادِينَ المَهْدِيِّينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا صَرِيعَ الدَّمْعَةِ السَّاكِبَةِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا صاحِبَ المُصِيبةِ الراتِبةِ، السَّلامُ عَلَيْكَ، وَعَلى جَدِّكَ وَأَبِيكَ، وَعَلى أُمِّكَ وَأَخِيكَ، السَّلامُ عَلَيْكَ وَعَلى الأَئِمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ وَبَنِيكَ.

أَشْهَدُ لَقَدْ طَيَّبَ اللهُ بِكَ التُّرابَ، وَأَوْضَحَ بِكَ الكِتابَ، وَجَعَلَكَ وَأَباكَ، وَجَدَّكَ وَأَخاكَ وَبَنِيكَ عِبْرَةً لأولي الأَلْبابِ، يا ابْنَ المَيامِينِ الأَطْيابِ التَّالِينَ الكِتابَ، وَجَّهْتُ سَلامِي إِلَيْكَ، صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْكَ، وَجَعَلَ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْكَ، ما خابَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكَ، وَلَجَأَ إِلَيْكَ»

مقدمة المركز:

كربلاء.. ما أن تلوح في أفق الساعين إليها تلك المنارات حتى تبدأ رحلة السّعي في رحاب الحسين عليه السلام، فيهبُّ نسيمُ الشهادة والعطاء طاوياً بعبَقِ ذكراه وعبيره حواجزَ الزمان والمكان ليضعنا أمام الحسين.. عيال الحسين.. رجال الحسين.. رضيع الحسين.. صلاة الحسين.. ودماء الحسين.. فيرفع في محراب الضمير حَيَّ على نَصْر الحسين.

ونُصرة للحسين عليه السلام وبكلمات إسلاميّة واعية استطاع سماحة الشيخ جميل الربيعي في كتابه «الزيارة تعهّد والتزام ودعاء في مشاهد المطهّرين» أن يضع القارئ أمامَ مسؤوليّة كبيرة وهو يشدّ الرحال؛ ليطوف حول تلك البقعة المطهَّرة، فبعد أن يُبيّن مشروعية الزيارة مدعّماً آراءه ورؤاه بأحاديث من السُّنة النبوية الشريفة، ولأهمّيتها وآثارها الإيجابية في السلوك الإنساني، يوضّح الحكمة من الزيارة، والفوائد الرسالية الاجتماعية من تأديتها،

ومتى تؤثّر في النفس، لتساهم في صناعة الشخصية الرسالية للزائر.

فالزيارة كما يرى العلامة المرجع السيّد محمّد حسين فضل الله قدس سره هي عمليّة استلهام لخطوات وأفكار ورؤى المعصومين عليهم السلام، حيث من خلال زيارتهم نستحضر حياتهم الشريفة لتكون لنا قدوةً وعبرةً في الحياة؛ لأنّهم عليهم السلام هم القرآن الناطق الذي يجب أن نلتزم به مع القرآن الصامت التزاماً كاملاً.

ومن هنا اتضح أنّ الزيارة لم تكن مجرّد تسلية للنّفس، أو متعة لقضاء الوقت، وإنّما هي عملية تربويّة تظهر آثارها من خلال انعكاساتها على الزائر.

وبلغة جميلة ويسيرة استطاع المؤلف أن يبين فوائد متعددة يمكن أن يحصل عليها الزائر في رحلته الروحية هذه.

ونحن في المركز الإسلامي الثقافي وتزامناً مع الزيارة الأربعينية للإمام الحسين عليه السلام ننشر هذا الكتاب لسماحة الشيخ جميل الربيعي، إيماناً منّا بأهمّية الزيارة في حياة الإنسان المسلم، وحرصاً على أن تتحوّل هذه المسيرة المليونية إلى مدرسة تستلهم

منها الدروس والعِبَر.

المركز الإسلامي الثقافي- النجف الأشرف

حيدر محمد السعبري

صفر ١٤٣٧ هـ /كانون الأوّل (ديسمبر) ٢٠١٥ م

«إِنَّ لِكُلِّ إِمامٍ عَهْداً في عُنُقِ أَوْلِيائِهِ وَشِيعَتِهِ، وَإِنَّ مِنْ تَمامِ الْوَفاءِ بِالعَهْدِ، وَحُسْنِ الأَداءِ زِيارَةَ قُبورِهِم، فَمَنْ زارَهُم رَغْبَةً في زِيارَتِهِم، وَتَصْديقاً لِما رَغِبوا فِيهِ، كانَ أَئِمَّتُهُم شُفَعاءَهُم يَوْمَ الْقِيامَةِ»[1].

«الإمام الرضا عليه السلام»

(١) ثقة الإسلام الكليني، الفروع من الكافي: ٥٦٧/٤، كامل الزيارات: ٢٣٧، وعلل الشرائع: ٤٥٩/٢، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٩٢/١، من لا يحضره الفقيه: ٥٧٧/٢، تهذيب الأحكام: ٧٩/٦.

مَشْروعِيَّةُ الزِّيارَة

لقد تواترت الأحاديثُ والرواياتُ في استحباب زيارة قبور الرسل والأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام، لا سيّما قبر خاتم الرسل صلى الله عليه وآله، وقبور آله الطاهرين عليهم السلام، وثبت بالطرق الصحيحة أنّ الرسولَ الأكرمَ صلى الله عليه وآله كان يزور البقيع، وشهداء أُحُد، وعلى هداه سار أهل بيته عليهم السلام وأصحابه المخلصون، بل يكاد هذا الأمر أن يكون مجمعاً عليه عند جميع المسلمين، ولم يشذّ عن ذلك إلا ابن تيمية، ومن سار على نهج الوهابية؛ فقد روى ابن سعد في الطبقات بسنده إلى ابن أبي مليكة قال: «رحت من منزلي، وأنا أريد منزل عائشة، فتلقَّتني على حمار، فسألت بعض من كان معها. قال: زارت قبر أخيها عبد الرحمن»[1].

وعلَّق شيخ الإسلام تقي الدين السبكي الشافعي المتوفى سنة

---

(١) شيخ الإسلام تقي الدين السبكي المصري الشافعي (٧٥٦هـ)، شفاء السقام في زيارة خير الأنام: ١٩٤، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ.

٧٥٦هـ على الرواية قائلاً: «ومقصودنا: أنّ زيارة ما عدا قبر النبي ﷺ مما يثاب الشخص على فعله، وقد يتأكّد بحسب بعض الأحوال، فزيارة القريب آكد من غيره، وتطلب لمعنى فيه مختصّ به؛ وهو القرابة، وزيارة غير القريب أيضاً مستحبّة؛ للاعتبار، والترحّم والدعاء؛ وذلك عامٌّ في كلّ المسلمين»[١].

ثم قال: «وإذا زار قبراً معيّناً، يكون مؤدّياً للسُّنّة بما تضمّنه من زيارة جنس القبور، ولا نقول: إنّ زيارة ذلك القبر المعيَّن بخصوصه سُنَّة، حتى يرد فيها فضل خاصٌّ، أو نعرف صلاحه، فإنّ زيارة جميع الصالحين قربة، كما يقولون: إنّ الصلاة في المسجد مطلوبة، ولا نقول: الصلاة في مسجد بعينه مطلوبة، إلا في الثلاثة التي شهد الشرع بها، ويقوم ما هو الأفضل منها كالمسجد الحرام عن غيره»[٢].

وقد جاء في استحباب زيارة القبور أحاديث كثيرة عن طريق أهل السنة فضلاً عما ورد في كتب الشيعة، ونحن نذكر

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام: ١٩٥.

(٢) المصدر نفسه.

بعضاً من تلك الأحاديث على ما جاء في كتب أهل السنة لإبطال مبتدعات الوهابية الضالة الذين كَفَّروا من يزور القبور، ورموا كلَّ من يزور قبر رسول الله ﷺ بالشرك فضلاً عمن يزور القبور الأخرى؛ فعن عائشة أنَّها قالت: «كلّما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: **السَّلامُ عَلَيْكُم دارَ قومٍ مؤمنينَ، وآتاكم ما توعدون غداً مؤجّلون، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون**»[1].

وقال النووي: «ويستحب للرجال زيارة القبور لما روى أبو هريرة قال: زار رسول الله ﷺ قبر أمه فبكى، وأبكى مَن حوله، ثم قال: «**...فزوروا القبور؛ فإنّها تذكرّكم الموت**»، والمستحب أن يقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون»، ويدعو لهم لما روت عائشة: أنّ النبي ﷺ كان يخرج إلى البقيع فيقول: **السّلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهمَّ اغفر لأهل بقيع الغرقد**»[2].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: ٤١/٧، ط/دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٧م، ١٤٠٧هـ.

(٢) محيي الدين النووي، المجموع: ٣٠٩/٥.

ومن حديث طويل عن عائشة أيضاً، قالت: قال صلى الله عليه وآله: «**فإنّ جبريل أتاني حين رأيتِ فناداني، فأخفاه منك، فأجبته، فأخفيته منكِ، ولم يكن يدخل عليك... فقال: إنّ ربَّكَ يأمرُكَ أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم...**»[1].

وعن أبي هريرة قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **زوروا القبور؛ فإنّها تذكرّكم الآخرة**»[2].

وعن عائشة: «**إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رخص في زيارة القبور**»[3].

وفي حديث آخر عن عليّ عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**إنّي كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها؛ فإنَّها تذكّركم الآخرة**»[4].

وعن ثوبان أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، واجعلوا زيارتكم لها صلاة عليهم،**

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: ٤٤/٧.

(٢) سنن ابن ماجة: ٥٠٠/١، باب ما جاء في زيارة القبور، ح/١٥٦٩.

(٣) المصدر نفسه، ح/١٥٧٠.

(٤) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ٥٨/٣.

واستغفاراً لهم»[1].

وهذا غيضٌ من فيض من الأحاديث الواردة في هذا الباب، إضافة إلى ما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وينقل المؤرخون والمحدثون عن أبي جعفر عليه السلام أنَّ فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تزور قبر عمّها حمزة ترمّه، وتصلحه، وقد تعلمته بحجر[2]؛ وقد روى الحاكم عن علي بن الحسين عن أبيه عليهما السلام: «**إنّ فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله كانت تزور قبر عمّها حمزة كلّ جمعة، فتصلّي وتبكي عنده**»[3].

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنّ فاطمة عليها السلام كانت تزور قبور الشهداء بين اليومين والثلاثة... فتصلّي هناك، وتدعو وتبكي حتى ماتت**»[4].

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ٥٩/٣.

(٢) ابن شبة النميري ت(٢٦٢هـ)، تاريخ المدينة: ١٣٢/١، ووفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسمهودي (٩١١هـ): ٩٣٢/٣، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، والطبقات الكبرى لابن سعد: ١٩/٣، وكشف الارتياب للسيد محسن الأمين: ٧٨٤.

(٣) الحاكم النيسابوري، المستدرك: ٣٧٧/١.

(٤) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: ٩٣٢/٣، وكشف الارتياب: ٧٨٣-٧٨٤.

إذن كلّ هذه الأحاديث، والسيرة العمليّة لرسول الله ﷺ تدلّ دلالة واضحة أنَّ زيارة القبور بصورة عامة عمل مستحب ومشروع، ولا غبار عليه، خلافاً لما أفتى به ابن تيمية الذي خالف جميع المسلمين.

وقد أورد السبكي خمسة عشر حديثاً استدلَّ بها على مشروعية زيارة قبر الرسول ﷺ، وأبطل بها مبتدعات ابن تيمية بعد أن حقَّق أسانيدها، ونحن نذكر هذه الأحاديث ففيها الكفاية في دحض مفتريات ابن تيمية، قال ﷺ:

«من زار قبري وجبت له شفاعتي»[1].

«من زار قبري حلت له شفاعتي»[2].

«من جاءني زائراً لا يعمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليَّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة»[3].

---

(١) رواه الدارقطني والبيهقي وغيرهما، راجع تحقيق السند في شفاء السقام: ٦٥-٦٦.

(٢) رواه الإمام أبو بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق البزاز في مسنده، راجع شفاء السقام: ٨١.

(٣) رواه الدارقطني في أماليه، والطبراني في معجمه الكبير: ٢٩١/١٢، رقم ١٣١٤٩، نقلاً عن شفاء السقام: ٨٣.

«من حَجَّ فزار قبري بعد وفاتي فكأنَّما زارني في حياتي»[1].

«من حَجَّ البيت، ولم يزرني فقد جفاني»[2].

«من زار قبري» أو«من زارني»، «كنت شفيعاً له» أو «شهيداً»[3].

«من زارني متعمّداً كان في جواري يوم القيامة»[4].

«من زارني بعد موتي فكأنّما زارني في حياتي»[5].

«من حَجَّ حجّة الإسلام، وزار قبري، وغزا غزوة، وصلّى عليَّ في بيت المقدس، لم يسأله الله عز وجلّ فيما افترض عليه»[6].

---

(١) رواه الدارقطني في سننه ورواه غيره أيضاً، نقلاً عن شفاء السقام: ٨٩.

(٢) رواه ابن عدي في الكامل: ٢٤٨٠/٧، نقلاً عن شفاء السقام: ٩٨.

(٣) رواه أبو داود الطّيالسي في مسنده: ١٢/١، وانظر منحة المعبود: ٢٢٨/١، نقلاً عن شفاء السقام: ١٠٢.

(٤) رواه أبو جعفر العقيلي: ٣٦١/٤، رقم ١٩٧٣، نقلاً عن شفاء السقام: ١٠٤.

(٥) في تلخيص الحبير: ٤١٥/٧، ورواه الدارقطني، وفي طريق آخر بلفظ «وفاتي» بدل «موتي»، ورواه غيرهم، ينظر: شفاء السقام: ١٠٦.

(٦) رواه الحافظ أبو الفتح الأزديّ في الجزء الثاني من فوائده، عن شفاء السقام: ١٠٧.

«من زارني بعد موتي فكأنّما زارني وأنا حي»[1].

«من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً وشهيداً»، وفي رواية: «من زارني محتسباً إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة»[2].

«من زارني ميتاً فكأنّما زارني حياً، ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة، وما من أحد من أمّتي له سعة، ثم لم يزرني فليس له عذر»[3].

«من زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً» أو قال: «شفيعاً»[4].

«من لم يزر قبري فقد جفاني»[5].

«من أتى المدينة زائراً لي، وجبت له شفاعتي يوم

---

(١) رواه أبو الفتوح سعيد بن محمّد بن إسماعيل اليعقوبي في «جزء له فيه فوائد»، عن شفاء السقام: ١٠٩.

(٢) تفصيل سند الحديث في شفاء السقام: ١١٠-١١٢.

(٣) انظر المصدر نفسه في تفصيل سند الحديث: ١١٢.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه: ١١٤.

القيامة، ومن مات في أحد الحرمين بُعث آمناً»[1].

هذه الأحاديث قد رواها السبكي في شفاء السقام، وحقَّقها سنداً، واستدلَّ بها متناً على مشروعية زيارة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وقد رويت معظم هذه الأحاديث عن طرق أهل البيت عليهم السلام مع اختلاف طفيف في متونها، ونذكر بعضها تأييداً وتيمّناً بها؛ فعن هارون عن ابن صدقة، عن الصادق، عن أبيه عليهما السلام: «أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال: **من زارني حياً وميتاً كنت له شفيعاً يوم القيامة**»[2].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتى مكّة حاجّاً، ولم يزرني إلى المدينة جفاني، ومن جفاني جفوته يوم القيامة، ومن جاءني زائراً، وجبت له شفاعتي، ومن وجبت له شفاعتي، وجبت له الجنة**»[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من أتاني زائراً كنت شفيعه يوم**

---

(١) لاحظ وفاء الوفا للسمهودي: ١٣٤٨/٤، والدرة الثمينة: ٣٩٧، ورفع المنارة للممدوح المحمود: ٣٢٧-٣٢٩، نقلاً عن شفاء السقام: ١١٥.

(٢) الحميري القمي، قرب الإسناد: ٦٥، وبحار الانوار: ١٣٩/١٠٠.

(٣) الشيخ الصدوق، علل الشرائع: ٤٦٠/٢.

القيامة»[1].

وعنه صلى الله عليه وآله: **«من زارني في حياتي، أو بعد موتي كان في جواري يوم القيامة»**[2].

وعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال: **«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من زارني بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي، وكنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة»**[3].

والأحاديث في ذلك متواترة، وقد ذكر صاحب البحار سبعاً وثلاثين حديثاً «في باب فضل زيارة النبي صلى الله عليه وآله وفاطمة صلوات الله عليها والأئمة بالبقيع صلوات الله عليهم أجمعين»، إضافة إلى أحاديث أخرى فيما يجب أن يعمل في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، وبيان ثوابه، وإعطائه بعداً تربويّاً، وفكريّاً، وروحيّاً، وأخلاقيّاً.

---

(١) ابن قولويه، كامل الزيارات: ٤٢، وبحار الأنوار: ١٠٠/ ١٤٢.

(٢) كامل الزيارات: ٤٥، وبحار الأنوار: ١٠٠/١٤٣

(٣) المصدران السابقان أنفسهما.

حِكْمَةُ زِيارَةِ الْقُبور

لم تكن زيارةُ القبور مجرّدَ تسلية للنفس، أو قضاء للوقت، وإنّما هي عمليّة تربويّة يتذكر فيها الإنسان الذين عايشهم، وكانوا معه يأكلون، ويشربون، ويعملون، و... والآن هم تحت الجنادل تأكل لحومهم ديدان الأرض، وبهذا التفكير يعمّق الإنسان إيمانه بيوم الدين، ويركّز الخوف من الله في نفسه، ويلقّنها دروساً تربوية رائعة، ويوحي لها بالفناء والرحيل عن هذه الدنيا، فيا له من درس عميق الدلالة!

هذا ما كان رسول الله ﷺ يفعله فتراه يخرج آخر الليل إلى البقيع، ويقول: «**السّلام عليكم دارَ قومٍ مؤمنينَ، وآتاكم ما توعدون غداً مؤجلون وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهُمَّ اغفر لأهل بقيع الغرقد**»[1].

وهكذا كان أولياء الله يحاسبون أنفسهم، ويلقّنونها الدروس

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: ٤١/٧.

والعبر، يقول الزهري: «سمعت علي بن الحسين- سيد العابدين - عليه السلام يحتسب نفسه، ويناجي ربه، ويقول:

يا نفس حتّام إلى الدنيا غرورك؟ وإلى عمارتها ركونك؟ أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك؟ومن وارته الأرض من ألّافك؟ ومن فجعت به من إخوانك؟ ونقل [إلى] البلى من أقرانك؟ [من الطويل]

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها ... محاسنهم فيها بوالٍ دواثرُ
خلت دورهم منهم وأقوت عراصهم ... وساقتهم نحو المنايا المقادرُ
وخلّوا عن الدنيا، وما جمعوا لها ... وضمتهم تحت التراب الحفائرُ

كم تخرّمت أيدي المنون من قرون بعد قرون؟ وكم غيّرت الأرض ببلاها؟ وغيّبت في ثراها ممن عاشرت من صنوف الناس وشيعتهم إلى الأرماس؟

وأنت على الدنيا مكبّ منافس ... لخطّائها فيها حريص مكاثرُ
على خطر تمسي وتصبح لاهياً ... أتدري بما لو عقلت تخاطر
وإن امرأً يسعى لدنياه دائباً ... ويذهل عن أخراه لا شكَّ خاسرُ»[1]

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٤١/٤٠٣-٤٠٤.

هذا جزء من رواية طويلة للإمام زين العابدين عليه السلام رواها ابن عساكر في تاريخه، تعبّر عن طريقة تربويّة إيجابيّة للنفس، لتحدَّ من طموحها الدنيوي، وطول أملها.

إذن لم تكن زيارة القبور عمليّة عبثيّة، ولا المقصود منها عبادة الموتى كما صوَّرتها الوهابية الضالّة.

والحكمة الأخرى لزيارة القبور هي: التواصل الإنساني مع الميت، وفاءً لبعض حقوقه حيث انقطعت علاقته بالدنيا؛ فينبغي لمحبّيه وعارفيه الدعاء، والترحّم، والاستغفار له كما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله في زيارته لأهل البقيع، قال السبكي: «**وهذا مستحبٌّ في حقّ كلّ ميت من المسلمين**»[1].

فقد روى ابن عباس قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **ما من أحد يمرّ بقبر أخيه المؤمن يعرفه في الدنيا، فيسلّم عليه، إلا عرفه، وردَّ عليه السلام**»[2].

كما أنّ الزيارة لقبر الميت رحمة، ورِقّة، وتأنيس له؛ فقد

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام: ١٩٠.

(٢) المصدر نفسه: ١٩١.

روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**آنس ما يكون الميت في قبره إذا زاره من كان يحبّه في دار الدنيا**»[1].

ومن حكمة الزيارة للقبور لا سيما الأنبياء والمرسلون وأوصياؤهم استلهام الدروس والعبر من حياتهم الشريفة، يقول تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[3].

فالإنسان المؤمن الواعي الكادح إلى الله عندما يقف أمام قبور العظماء يستعيد في ذهنه سيرة هذا العظيم، ويستلهم من حياته الصبر على مواصلة السير والسلوك إلى الله تعالى، ولعلَّ أهمّ ما في زيارة القبور هو هذا الدرس العظيم حيث يقتدي بهم،

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام: ١٩١.

(٢) هود: ١٢٠.

(٣) يوسف: ١١١.

ويتأسّى بسيرتهم، وبهذا أمرنا الله تعالى بقوله: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ ... ۞ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾[1].

وقال لنبيه ﷺ بعد أن ذكر عدداً من الأنبياء والمرسلين: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾[2].

ولا شكَّ أنَّ المؤمن عندما يقف على قبر رسول الله ﷺ أو قبر أيّ نبيّ، أو وصيّ نبيّ يستحضر تعاليمه وهداه، وهذا أكثر تأثيراً في النفس مما لو كان تصوّراً مجرّداً بعيداً عنه؛ فالاستغفار عند أضرحتهم، والدعاء فيها، يولّد الرقّة، ويفيض الدمعة، ويرسّخ العِبرة، وما أجمل ما استدلَّ به السبكي على شرعية زيارة قبر الرسول ﷺ من قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ

---

(١) الممتحنة: ٤-٦.

(٢) الأنعام: ٩٠.

﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[1].

يقول: «دلّت الآية على الحثّ على المجيء إلى الرسول ﷺ، والاستغفار عنده، واستغفاره لهم، وذلك وإن كان ورد في حال الحياة، فهي رتبة له ﷺ لا تنقطع بموته؛ تعظيماً له.

فإن قلت: المجيء إليه في حال الحياة؛ ليستغفر لهم، وبعد الموت ليس كذلك؟

قلت: دلّت الآية على تعليق وجدانهم الله تعالى توّاباً رحيماً بثلاثة أمور: المجيء، واستغفارهم، واستغفار الرسول.

فأما استغفار الرسول: فإنّه حاصل لجميع المؤمنين؛ لأن رسول الله ﷺ استغفر للمؤمنين والمؤمنات؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[2].

ولهذا قال عاصم بن سليمان -وهو تابعيّ- لعبد الله بن سرجس الصحابي (رضي الله عنه): استغفر لك رسول الله ﷺ؟

---

(١) النساء: ٦٤.

(٢) محمد: ١٩.

فقال: نعم، ولك، ثم تلا هذه الآية. رواه مسلم»[1].

فقد ثبت أحد الأمور الثلاثة؛ وهو استغفار رسول الله ﷺ لكلّ مؤمن ومؤمنة؛ فإذا وجد مجيؤهم واستغفارهم تكمّلت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته... فقد ثبت على كلّ تقدير أنّ الأمور الثلاثة المذكورة في الآية حاصلة لمن يجيء إليه ﷺ مستغفراً في حياته، وبعد مماته[2].

وتواصل الحثّ والتأكيد حتى أصبحت الزيارات شعاراً من شعارات الشيعة، ووسيلةً يتقرّبون بها إلى الله تعالى، فلم تكن الزيارة للتسلية والترفيه، وليست عملاً دنيوياً، بل هي عبادة روحيّة وبدنيّة يراد بها التقرّب إلى الله تعالى بتكريم عباده الصالحين كما أنّها لم تكن مجرّد تكريم لإنسان ميت، وإنّما هي عمل عباديٌّ خالص لله تبارك وتعالى ذات أبعاد تربويّة، وعقائديّة، وفكريّة تبني شخصيّة الزائر، وتشدّه إلى مسيرة المزور وعقيدته.

---

(١) صحيح مسلم: ٨٦/٧، كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النبوّة، وفي طبعة: ١٨٢٣/٤ ، وانظر الشمائل للترمذي رقم ٢٢ ، نقلاً عن شفاء السقام: ١٨١-١٨٢ .

(٢) شفاء السقام في زيارة خير الأنام:١٨١-١٨٢ .

فَوائِد رِسالِيَّة اجتِماعِيَّة

من كلّ ما تقدّم يمكننا أن نذكر بعض فوائد الزيارة، وهي:

١- تجديد الصلة بالإسلام من خلال الإقرار بعهود يلزم الإنسان بها نفسه أمام روح المزور الذي يعتقد قدسيّته، ورد في مقطع من زيارة أئمة أهل البيت عليهم السلام: «**أُشْهِدُ اللهَ وَأُشْهِدُكُمْ أَنّي بِكُمْ مُؤْمِنٌ، وَبِإِيابِكُمْ مُوْقِنٌ، وَلَكُمْ تَابِعٌ في ذاتِ نَفْسي، وَشَرايِعِ ديني، وَخاتِمَةِ عَمَلي، وَمُنْقَلَبي وَمَثْواي**»[1].

ونحن نرى في هذا إقراراً وتعهداً بالالتزام أمام الله تعالى، والإيمان والاتباع والسير على نهج الأئمة الطاهرين عليهم السلام، فالزيارة تعهّدٌ، والتزامٌ، بل إلزام الزائر لنفسه بأمور يفرضها عليها، ويلقّنها بها، ويوحي لها بوجوب الالتزام بأوامر الله، والانتهاء عن نواهيه.

٢- الزّيارة تأكيدٌ للميثاق الإلهي، والتعهّد في التمسّك والحفاظ على دينه، والسير على نهجه، ورد في مقطع من الزيارة:

---

(١) كامل الزيارات: ٣٧٠.

«اللّهُمَّ اجْعَلْني في مَقامي هذا مِمَّنْ تَنالُهُ مِنْكَ صَلواتٌ وَرَحْمَةٌ وَمَغْفِرَةٌ، اللّهُمَّ اجْعَلْ مَحْيايَ مَحْيا مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمَماتي مَماتَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ»[1].

«اللّهُمَّ إنّي أُشْهِدُكَ بِالْوِلايَةِ لِمَنْ والَيْتَ، وَوالَتْهُ رُسُلُكَ، وَأَشْهَدُ بِالْبَراءَةِ مِمَّنْ بَرِئْتَ مِنْهُ، وَبَرِئَتْ مِنْهُ رُسُلُكَ»[2].

وهنا دلالةٌ أخرى على أنَّ الزيارة عقدٌ وميثاقٌ مع الله تبارك وتعالى بالولايةِ لأوليائِهِ، والبراءةِ من أعدائِهِ؛ والولايةُ لأولياء الله تعالى، والبراءةُ من أعداء الله عصبُ الحياة الرساليّة، وقطبُ رحى التوحيد: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[3].

٣- تحوَّلت الزيارة - وفق توجيهات الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وتأكيداتهم على شيعتهم بالتحلّي بأخلاقهم، والحضور عند أضرحتهم، وقراءة نصوص الزيارات التي أنشؤوها هم - إلى محطات هداية روحيّة، وسياسيّة، واجتماعيّة تبث الوعي الفكري،

(١) كامل الزيارات: ٣٣٠-٣٣١.

(٢) المصدر نفسه: ٣٦٢.

(٣) التوبة: ٧١.

والبناء الروحي، وهذه المحطات مفتوحة الأبواب على طيلة أيام السنة تغذّي الزائرين بالعزم، والإرادة، والبصيرة النيّرة.

٤- إنّ الزيارة تسلّط الأضواء على الجهود التي بذلها المزور على مختلف الأصعدة، وبيان لعظمة الرسالة التي ضحّى من أجلها، ودعوة صريحة للالتزام بما التزم به، ودعوة إلى ما دعا إليه سواء كان في العبادات، أو المعاملات، أو الأخلاق؛ ولهذا تكرَّر المقطع الآتي في مختلف الزيارات: «**أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلاةَ، وَآتَيْتَ الزَّكاةَ، وَأَمَرْتَ بِالْمَعْروفِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَجاهَدْتَ في اللهِ حَقَّ جِهادِهِ**»[1].

وفي زيارة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «**أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ عَنِ اللهِ ما حَمَّلَكَ، وَحَفِظْتَ ما اسْتَوْدَعَكَ، وَحَلَّلْتَ حَلالَ اللهِ، وَحَرَّمْتَ حرامَ اللهِ، وَأَقَمْتَ أَحْكامَ اللهِ، وَتَلَوْتَ كِتابَ اللهِ، وَصَبَرْتَ عَلى الأَذى فِي جَنْبِ اللهِ، وَجاهَدْتَ فِي اللهِ حَقَّ جِهادِهِ حَتّى أَتاكَ اليَقِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلى**

(١) ينظر: كامل الزيارات: ٩٨، و٣٧١، و٣٧٦، و٣٧٨، و٣٧٩، و٣٨٠، و٤٠٢، و٥١٨، و٥٢٥.

ما مَضى عَلَيْهِ آباؤُكَ الطَّاهِرُونَ وَأَجْدادُكَ الطَّيِّبُونَ الأَوْصِياء الهادُونَ، الأَئِمَّةِ المَهْدِيُّونَ، لَمْ تُؤْثِرْ عَمًى عَلى هُدًى، وَلَمْ تَمِلْ مِنْ حَقٍّ إِلى باطِلٍ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ نَصَحْتَ لله وَلِرَسُولِهِ وَلأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، وَأَنَّكَ أَدَّيْتَ الأَمانَةَ، وَاجْتَنَبْتَ الخِيانَةَ، وَأَقَمْتَ الصَّلاةَ، وَآتَيْتَ الزَّكاةَ، وَأَمَرْتَ بِالمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتَ عَنِ المُنْكَرِ، وَعَبَدْتَ الله مُخْلِصاً مُجْتَهِداً مُحْتَسِباً حَتّى أَتاكَ اليَقِينُ؛ فَجَزاكَ الله عَنِ الإِسْلامِ وَأَهْلِهِ أَفْضَلَ الْجَزاءِ وَأَشْرَفَ الجَزاءِ»[1].

وفي هذا النصّ شهادات ثلاث سلّط فيها الضوء في كلّ واحدة منها على جهود الإمام عليه السلام التي بذلها؛ لتبليغ أحكام الله، وحفظ رسالته تعالى من خلال التأكيد على عقائد الإسلام، وأحكامه، وأخلاقه في موقف تنتاب الإنسان فيه الرقّة، والخشوع، والضراعة، والتوسّل بالله تعالى، وفي مثل هذه المواقف لا بدّ أن تترسّخ تلك المفاهيم في النفس، وتتحوّل إلى قوّة تحدٍّ بوجه

(١) المحدث القمي، مفاتيح الجنان، باب زيارة الكاظمين.

أعداء الله تعالى.

كما نلاحظ أنَّ النص لم يسلط الضوء على شخص الإمام ذاته، إنّما سلَّطه على شخصية الإمام الرساليّة من خلال بيان جهود الإمام عليه السلام في تبليغ رسالة الله، وحفظها من يد المحرّفين، وإقامة أحكام الله، وتلاوة كتابه، والصبر على الأذى في سبيله، والجهاد في الله حقّ جهاده، والاستمرار على نهج الهدى الذي سلكه آباؤه الطاهرون، والتضحية لله، وأداء الأمانة، واجتناب الخيانة، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإخلاص في عبادة الله... وهكذا تكون الزيارة إبرازاً وإظهاراً لما دعا إليه الإسلام من عقائد، وأحكام، وأخلاق.

٥- ثم إنَّ الزيارة تربط الإنسان بالمزور، ومن خلاله تُوصله بخط الأنبياء، والمرسلين، وتشعره بأنّه حلقة في سلسلة رتل الأنبياء والمرسلين، فهي عملية تواصل شعوري ووجداني بمسيرة الأنبياء والمرسلين والأئمة الأطهار عليهم السلام.

«وبذلك يقرّر الحقيقة... حقيقة الأصل الواحد، والنشأة الضاربة في أصول الزمان. ويضيف إليها لمحة لطيفة الوقع في

حسّ المؤمن. وهو ينظر إلى سلفه في الطريق الممتدّة من بعيد، فإذا هم على التتابع هؤلاء الكرام.. نوح، إبراهيم موسى، عيسى، محمد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - ويستشعر أنّه امتداد لهؤلاء الكرام، وأنّه على دربهم يسير. إنّه سيستروح السير في الطريق، مهما يجد فيه من شوك ونصب، وحرمان من أعراض كثيرة. وهو برفقة هذا الموكب الكريم على الله. الكريم على الكون كلّه منذ فجر التاريخ»[1].

وهذه الحقيقةُ نجدها ناصعةً في الزيارة المعروفة بزيارة وارث للإمام الحسين عليه السلام: «**السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ عِلْمِ الأَنْبياءِ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ آدَمَ صَفْوَةِ الله، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ نوحٍ نَبيِّ الله، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ إِبْراهِيمَ خَليلِ الله، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ إِسْماعِيلَ ذَبيحِ الله، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ مُوسَى كَلِيمِ الله، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ عِيسَى رُوحِ الله، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ**

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن: ٢٧٤/٧.

مُحَمَّدٍ حَبيب الله...الخ»[1].

وهكذا تكون الزيارة عمليّة تواصل شعوري ووجداني برسالة الله تعالى على طول خطّ التأريخ في مسيرة رسل الله تعالى، ونصبهم شعورياً رموزاً، ونماذج للاقتداء، والاحتذاء، والتأسّي بهم في المجالات كافة، وهذا معنى أكد عليه القرآن الكريم في عملية توجيه الرسول صلى الله عليه وآله وإعداده، ومن هنا وردت الكثير من الآيات لحثّه صلى الله عليه وآله على الصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، وعلى ذكرهم وتمثلهم الذهني من أجل الاقتداء بهم عمليّاً من قبيل قوله تعالى:

﴿ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[2].

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾[3].

﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ۞ إِنَّا

---

(١) بحار الأنوار: ٣٢٩/١٠١ و ٣٤٥.

(٢) ص: ١٧.

(٣) ص: ٤١.

﴿أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ۞ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ۞ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ۞ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[1].

٦- إنّ الزيارة - لا سيما زيارة الحسين عليه السلام - تشتمل على إدانة صريحة لكلّ الطغاة والمنحرفين عن خطّ الإسلام في كلّ زمان ومكان، وهذا المعنى واضح صريح في نصوص الزيارات الواردة عنهم عليهم السلام، والتي يبرز فيها عنصر التولّي لأولياء الله، والتبرّي من أعداء الله بشكل جليّ صريح؛ ففي زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله من قرب يقول الزائر بعد السلام على النبي صلى الله عليه وآله: «**يا رَسولَ الله، إنّي أَتقَرَّبُ إلى الله بما يُرْضيكَ، وأَبْرأُ إلى الله مِمّا يُسْخِطُكَ، أَنا مُوالٍ لأَوْلِيائِكَ، ومُعادٍ لأَعْدائِكَ**»[2].

وفي زيارة الزهراء سيدة نساء العالمين صلوات الله عليها، وعلى أبيها، وبعلها، وبنيها، يقول الزّائر: «**السَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ نَبيّ الله... أُشْهِدُ اللهَ ورُسُلَهُ ومَلائِكَتَهُ أَنّي راضٍ عَمَّنْ رَضيتِ**

---

(١) ص: ٤٥-٤٩.

(٢) بحار الأنوار: ١٠٠/١٧١.

عَنْهُ، ساخِطٌ عَمَّنْ سَخَطْتِ عَلَيْهِ، مُتَبَرِّئٌ مِمَّنْ تَبَرَّأْتِ مِنْهُ، مُوالٍ لِمَنْ والَيْتِ، مُعادٍ لِمَنْ عادَيْتِ، مُبْغِضٌ لِمَنْ أَبْغَضْتِ، مُحِبٌّ لِمَنْ أَحْبَبْتِ، وَكَفى بِاللهِ شَهيداً، وَحَسيباً، وَجازِياً، وَمُثيباً»[1].

وفي زيارة أئمة البقيع عليهم السلام ينبغي للزّائر أن يقول: «فَأَنا أُشْهِدُ اللهَ خالِقي وَأُشْهِدُ مَلائِكَتَهُ وَأَنْبياءَهُ وَرُسُلَهُ، وَأُشْهِدُكُمْ يَا مَوالِيَّ بِأَنّي مُؤْمِنٌ بِوِلايَتِكُمْ، مُعْتَقِدٌ لِإِمامَتِكُمْ، مُقِرٌّ بِخِلافَتِكُمْ، عارِفٌ بِمَنْزِلَتِكُمْ، مُؤْمِنٌ بِعِصْمَتِكُمْ، خاضِعٌ لِوِلايَتِكُمْ، مُتَقَرِّبٌ إِلى اللهِ بِحُبِّكُمْ، وَبِالْبَراءَةِ مِنْ أَعْدائِكِمْ»[2].

وفي زيارة أمير المؤمنين عليه السلام يقول الزائر: «يا مَوْلاي... أَتَيْتُكَ زائِراً مُعْتَرِفاً بِحَقِّكَ، وَلَيّاً لِمَنْ والَيْتَ، عَدُوّاً لِمَنْ عادَيْتَ، سِلْماً لِمَنْ سالَمْتَ، حَرْباً لِمَنْ حارَبْتَ، مُتَقَرِّباً بِمَحَبَّتِكَ وَوِلايَتِكَ إِلى اللهِ تَعالى، وَالسَّلامُ عَلَيْكَ وَعَلى

---

(١) الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد: ٧١١-٧١٢، وبحار الأنوار: ١٩٥/١٠٠.

(٢) المشهدي، المزار: ٢٩٤، وبحار الأنوار: ٢٠٨/١٠٠.

ضَجيعَيْكَ آدَمَ وَنوحٍ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ»[1].

وفي زيارة الحسين عليه السلام ليلة القدر: «أَشْهَدُ أَنَّ الَّذينَ خالَفوكَ وَحارَبوكَ وَالَّذينَ خَذَلوكَ، وَالَّذينَ قَتَلوكَ، مَلْعونونَ عَلى لِسانِ النَّبِيّ، وَقَدْ خابَ مَنِ افْتَرى، لَعَنَ اللهُ الظَّالِمينَ لَكُمْ مِنَ الأَوَّلينَ وَالآخرينَ، وَضاعَفَ عَلَيْهِمُ الْعَذابَ الأَليمَ، أَتَيْتُكَ يا مَولايَ، يا ابْنَ رَسولِ الله زائِراً عارِفاً بِحَقِّكَ، مُوالِياً لأَوْلِيائِكَ، مُعادِياً لأَعْدائِكَ، مُسْتَبْصِراً بِالْهُدى الَّذي أَنْتَ عَلَيْهِ، عارِفاً بِضَلالَةِ مَنْ خالَفَكَ»[2].

والأكثر صراحةً من ذلك ما ورد في زيارة عاشوراء، والتي تمثّل إدانة صريحة لكلّ قوى الطاغوت على طول خطّ التأريخ إلى يوم القيامة: «يَا سَيِّدي، يا أَبا عَبْدِ الله، إِنّي أَتَقَرَّبُ إِلى الله وَإِلى رَسُولِهِ، وَإِلى أَميرِ الْمُؤْمِنينَ، وَإِلى فَاطِمَةَ، وَإِلى الْحَسَنِ، وَإِلَيْكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ وَعلَيْهِمْ، بِمُوالاتِكَ، وَالْبَراءَةِ مِنْ أَعْدائِكَ وَمِمَّنْ قاتَلَكَ، وَنَصَبَ لَكَ الْحَرْبَ، وَمِنْ جَميعِ

(١) المشهدي، المزار: ٢٥٥، وبحار الأنوار: ٣٣٢/١٠٠.

(٢) الشهيد الأول، المزار: ١٦٨.

أَعْدائِكُمْ، وَبِالْبَراءَةِ مِمَّنْ أَسَّسَ الْجَوْرَ وَبَنى عَلَيْهِ بُنْيانَهُ، وَأَجْرى ظُلْمَهُ وَجَوْرَهُ عَلَيْكُمْ وَعَلى أشْياعِكُمْ.

بَرِئْتُ إِلى الله وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ، وَأَتَقَرَّبُ إِلى الله، ثُمَّ إِلَيْكُمْ بِمُوالاتِكُمْ وَمُوالاةِ وَلِيِّكُمْ، وَالْبَراءَةِ مِنْ أَعْدائِكُمْ، وَمِنَ النَّاصِبينَ لَكُمُ الْحَرْبَ، وَالْبَراءَةِ مِنْ أَشْياعِهِمْ وَأَتْباعِهِمْ، إِنّي سِلْمٌ لِمَنْ سالَمَكُمْ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حارَبَكُمْ، وَلِيٌّ لِمَنْ والاكُمْ، وَعَدُوٌّ لِمَنْ عاداكُمْ»[1].

ومن خلال هذه النصوص الواضحة الصريحة يتّضح لنا أنَّ الزيارة تحريكٌ ثوريٌّ ضد قوى الطاغوت، وتحشيدٌ لكلّ قوى الإيمان؛ لتقف سدّاً منيعاً في وجه امتداد قوى الكفر، والشرك، والنفاق، وهكذا «كانت الزيارة يوماً في عهد الأئمة عليهم السلام مواصلة للثورة التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام، أو القضية التي حملها أبناؤه وآباؤه الطاهرون.. وإصراراً على الاستمرار على النهج، وعلى الولاء الحق.. كانت (الزيارة) بيعةً وشراءً للأنفس والأموال في سبيل الله تعالى.. وكانت تظاهرة.. وتعظيماً لشعائر الله في

(١) كامل الزيارات: ٣٢٩-٣٣٠.

الأرض.. واستهداء بمصابيح الهدى الزاهرة في ليل الانحراف الداجي، والأيام الصعبة السوداء.. فليس -على هذا- من عجب أن رأينا زيارة سيد الشهداء عليه السلام تفضل في النصوص على الكثير من الأعمال والمستحبات الخطيرة»[1].

بناءً على هذا الفهم تكون زيارة أهل البيت عليهم السلام عمليّة إعداد روحيّ، وبناء فكريّ، وترابط اجتماعيّ، وتصعيد ثوريّ...؛ لتتحدّى قوى الطاغوت، وبهذا نستطيع أن نفسر الحثَّ المتواصل من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام لزيارة قبورهم، وبالخصوص زيارة قبر الحسين عليه السلام، واستنكارهم على شيعتهم إذا أحسّوا منهم التقصير، أو التماهل عن زيارة الحسين عليه السلام؛ فعن سدير قال: «قال أبو عبد الله: **يا سدير، تزور قبر الحسين عليه السلام في كلّ يوم؟** قلت: جعلت فداك لا، قال: **ما أجفاكم، فتزوره في كلّ جمعة؟** قلت: لا، قال: **فتزوره في كلّ شهر؟** قلت: لا، قال: **فتزوره في كلّ سنة؟** قلت: قد يكون ذلك، قال: **يا سدير، ما أجفاكم بالحسين عليه السلام أما علمتَ أنّ لله ألف ألف ملك شعثاً غبراً**

(١) الشهيد الشيخ حسين معن، نظرات في الإعداد الروحي: ٢٩٠.

يبكون ويزورون لا يفترون، وما عليك يا سدير أن تزور قبر الحسين عليه السلام في كلّ جمعة خمس مرات»[1].

وعن أبان بن تغلب قال: «قال لي جعفر بن محمد عليهما السلام: **يا أبان، متى عهدك بقبر الحسين عليه السلام؟** قلت: لا والله يا ابن رسول الله، ما لي به عهد منذ حين، قال: **سبحان ربي العظيم وبحمده، وأنت من رؤساء الشيعة تترك الحسين لا تزوره!! من زار الحسين كتب الله له بكلّ خطوة حسنة، ومحى عنه بكل خطوة سيئة، وغفر له ما تقدَّم من ذنبه، وما تأخر، يا أبان بن تغلب، لقد قتل الحسين صلوات الله عليه، فهبط على قبره سبعون ألف ملك شعث غُبر يبكون عليه، وينوحون عليه إلى يوم القيامة»**[2].

وعن محمد بن مسلم في حديث طويل، قال: «قال لي أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام: **هل تأتي قبر الحسين عليه السلام؟** قلت: نعم على خوف ووجل، فقال: **ما كان من هذا أشدّ فالثواب فيه**

---

(١) كامل الزيارات: ٤٨١-٤٨٩.

(٢) بحار الأنوار: ٧/١٠١.

على قدر الخوف، ومن خاف في إتيانه آمن الله روعته يوم القيامة، يوم يقوم الناس لربّ العالمين، وانصرف بالمغفرة، وسلمت عليه الملائكة، وزاره النبي صلى الله عليه وآله، ودعا له، وانقلب بنعمة من الله، وفضل لم يمسه سوء، واتبع رضوان الله»[1].

فلو لم يكن لزيارة الحسين عليه السلام تأثيرٌ بالغٌ في النفوس، وتغييرٌ للواقع النفسي والاجتماعي لما كان كلّ هذا التأكيد على زيارته.

كما أنّنا من خلال ذلك نستطيع أن نفسّر الموقف المتشدّد من قبل حكومات الطاغوت على امتداد الزمن على زوار الحسين عليه السلام من قتل، وسجن، وتشريد، وقطع الأيدي، وفرض الضرائب على من يزور الحسين عليه السلام، ولما لم ينفع كلّ ذلك هدموا قبر الحسين عليه السلام، وأجروا عليه الماء بل حرثوا أرضه، وزرعوها كما عمل هارون العباسي؛ فقد «أمر بهدم القبر المطهر، وكرب موضعه، وقص شجرة السدر التي كانت بجوار القبر من جذورها سنة (١٧١هـ)، ومنع من إقامة المآتم والمناحات سواء على القبر

(١) كامل الزيارات: ٢٤٤-٢٤٥.

أو في دور ومجتمعات الشيعة»[1].

وفي سنة ٢٣٦هـ «أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي عليه السلام، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يبذر ويسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه، فنادى [عامل صاحب الشرطة] بالناس في تلك الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة حبسناه في المطبق!»[2].

وفي العصر الحديث تعرّض قبر الحسين عليه السلام إلى هجمات الوهابيين، وحاولوا هدمه؛ «ففي سنة ١٢١٦هـ تعرّضت كربلاء والحرم الحسيني لهجمة بربرية قامت بها الجماعة الوهابية بقيادة سعود بن عبد العزيز، الذي استغلّ ذهاب معظم أهالي كربلاء إلى النجف الأشراف لزيارة ضريح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في يوم الغدير... فقد شقّوا طريقهم إلى الأضرحة المقدسة، وأخذوا يخرّبونها، فاقتلعت القُضب المعدنية والسياج ثم المرايا الجسيمة، ونهبت النفائس، والحاجات الثمينة... وأخذت

(١) السيد صالح الشهرستاني، تاريخ النياحة: ٨/٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٥٥/٧، حوادث عام ٢٣٦هـ.

الشمعدانات، والسجاد الفاخر، والمعلّقات الثمينة، والأبواب المرصّعة، وجميع ما وجد من هذا الضرب، فسحبت إلى الخارج»[1].

فعلوا كلّ هذه الفظائع بعد أن هدموا قبور الأئمة الأربعة عليهم السلام في البقيع، وإلى اليوم فهو هدفٌ لهجوم الظالمين، كان آخرها رميه بالمدافع الثقيلة من قبل الأوباش البعثيين سنة ١٩٩١م.

كلّ هذا؛ لأنّ الزائر للحسين عليه السلام عن إيمان، ووعي، مجرّد أن يدخل ضريحه المطهر فإنّه يستلهم منه التحرّر الثوريّ، والحماس الرساليّ، وتتعبّأ نفسه بالرفض لكلّ الطواغيت، لأنّ الحسين عليه السلام ثورة في قبره، يبعث في النفوس العزة، والإباء، والثورة، والرفض لكلّ أشكال الطاغوت؛ ولهذا «نلاحظ من خلال بعض هذه النصوص أنّ من أهداف الأئمة عليهم السلام أن يخلقوا تيّاراً اجتماعياً لزيارة الإمام الحسين عليه السلام.. وكان هذا مرتبطاً بأهداف الثورة ونجاحها»[2].

---

(١) تحسين آل شبيب، مرقد الإمام الحسين عبر التأريخ: ١٦٥-١٦٦.

(٢) نظرات في الإعداد الروحي: ٢٩١.

٧- تأكيد الشعور بالائتمام والاقتداء: يقول الشهيد الشيخ حسين معن قدس سره: «ونلاحظ أيضاً أنّ زيارة المشاهد ليست فقط محاولة لخلق جو إيماني.. وإنما هي أيضاً استشعار لوجود القدوة.. وتمثل معانيها الخيرة في الفكر، والروح والسلوك، وفي العطاء والجهاد، وتأكيداً للشعور بالائتمام والاقتداء»[1].

فالمؤمن عندما يزور الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، أو أحد أهل بيته عليهم السلام إنّما يؤكّد إيمانه بنهجه، واقتداءه بسيرته، وامتثاله لأمره، متقرّباً بذلك لله تعالى؛ فقد ورد في مقطع من أحد زيارات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «**الْحَمْدُ لله الَّذي وَفَّقَني لِلإيمانِ بِكَ، وَالتَّصْديقِ بِنُبُوَّتِكَ، وَمَنَّ عَلَيَّ بِطاعَتِكَ، وَاتِّباعِ مِلَّتِكَ، وَجَعَلَني مِنْ أُمَّتِكَ الْمُحِبّينَ لِدَعْوَتِكَ، وَهَداني لِمَعْرِفَتِكَ، وَمَعْرِفَةِ الأَئِمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ**»[2].

وفي مقطع آخر من زيارة أخرى لرسول الله صلى الله عليه وآله: «**السَّلامُ عَلَيْكَ يا حُجَّةَ اللهِ عَلى الأَوَّلينَ وَالآخرينَ... تَسْليمَ عارِفٍ**

---

(١) المصدر نفسه: ٢٩٢.

(٢) بحار الأنوار: ١٠٠/١٧٠-١٧١.

بِحَقِّكَ، مُعْتَرِفٍ بِالْتَقْصيرِ في قِيامِهِ بِواجِبِكَ، غَيْرِ مُنْكِرٍ ما انْتَهى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِكَ، مُوقِنٍ بِالْمَزيداتِ مِنْ رَبِّكَ، مُؤْمِنٍ بِالْكِتابِ الْمُنْزَلِ عَلَيْهِ، مُحَلِّلٍ حَلالَكَ، مُحَرِّمٍ حَرامَكَ... بِأَبي أَنْتَ وَأُمّي يا رَسولَ الله، زُرْتُكَ عارِفاً بِحَقِّكَ، مُقِرّاً بِفَضْلِكَ، مُسْتَبْصِراً بِضَلالَةِ مَنْ خالَفَكَ وَخالَفَ أَهْلَ بَيْتِكَ، عارِفاً بِالْهُدى الَّذي أَنْتَ عَلَيْهِ، بِأَبي أَنْتَ وَأُمّي وَنَفْسي وَأَهْلي وَوَلدي وَمالي... الخ»[1].

وبهذا تكون الزيارة تدعيماً لإيمان الإنسان بالله تعالى، وتصعيداً لحركته في كدحه إلى الله من خلال شعوره بالائتمام، واقتدائه بالرسول أو الإمام، وهذا هو أهمُّ ما تُبنى به شخصية المؤمن.

٨- يقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين قُدِّسَ سِرُّهُ: «**وقد نشأ - بسبب هذه النصوص الخاصّة بزيارة الحسين عليه السلام، أو تلك التي حثَّ فيها الأئمة عليهم السلام على زيارة النبي صلى الله عليه وآله أو**

---

(١) بحار الأنوار: ١٠٠/١٨٤ .

قبور الأئمة الآخرين، أو غيرهم من الصالحين والصالحات - مناخٌ ثقافي اجتماعي شيعي بالنسبة إلى الزيارة بوجه عام، وزيارة الحسين عليه السلام بوجه خاص، كوَّن تياراً بشرياً جارفاً يتعاظم باستمرار من جميع الأعمار والأوطان، يزور في جميع الأوقات، وفي جميع الحالات»[1].

(١) محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين في الوجدان الشيعي: ٦٩-٧٠.

مَتى تَتْرُكُ الزِّيارَةُ
أَثَرَها في نَفْسِ الزَّائِر؟

لا يمكن أن تترك الزيارة أثرها إلا إذا توَّفرت في المؤمن الزائر شروط عديدة نذكر أهمَّها:

١- الإيمان بدور المزور في قوّة علاقته بالله عز وجلّ، وكونه من عباده الصالحين، أو من أوليائه المخلصين، أو أنبيائه المرسلين، فإذا كانت الزيارة عن إيمان عميق، واعتقاد سليم، ويقين قاطع لا تردّد فيه تركت في نفس الزائر أعمق الآثار الطيّبة، حيث يرجع الزائر ونفسه طافحة بالنور، والبصيرة، والعزيمة، والرجاء، خاضعاً خاشعاً متوسّلاً بالله عز وجلّ قائلاً: «**اللّهُمَّ، إِنِّي تَعَرَّضْتُ لِزِيارَةِ أَوْلِيائِكَ؛ رَغْبَةً فِي ثَوابِكَ، وَرَجاءً لِمَغْفِرَتِكَ، وَجَزيلِ إِحْسانِكَ، فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، وَأَنْ تَجْعَلَ رِزْقِي بِهِمْ دارّاً، وَعَيْشِي بِهِمْ قارّاً، وَزِيارَتِي بِهِمْ مَقْبُولَةً، وَحَياتِي بِهِمْ طَيِّبَةً، وَأَدْرِجْنِي إِدْراجَ المُكْرَمِينَ، وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يَنْقَلِبُ مِنْ زِيارَةِ مَشاهِدِ أَحِبَّائِكَ**

مُنْجِحاً قَدِ اسْتَوْجَبَ غُفْرانَ الذُّنُوبِ، وَسَتْرَ الْعُيوبِ، وَكَشْفَ الكُرُوبِ، إِنَّكَ أَهْلُ التَّقْوى، وَأَهْلُ المَغْفِرَةِ»[1].

وبعد زيارة عاشوراء يقول الزائر: «**انْقَلَبْتُ يا سَيِّدِيَّ عَنْكُما تائِباً، حامِداً لله، شاكِراً، راجِياً لِلإِجابَةِ، غَيْرَ آيِسٍ، وَلا قانِطٍ**»[2].

٢- المعرفة الواعية المعمّقة بدور المزور، ومعرفة أبعاد شخصيته الرساليّة وموقفه من الحياة الدنيا، وهذا الشرط هو الشرط الأساسي في تأثير الزّيارة في نفس الزائر، وبهذا وردت أحاديث كثيرة نذكر منها: عن ابن عباس قال: «دخلت على النبي صلى الله عليه وآله، والحسن على عاتقه، والحسين على فخذه، يلثمهما، ويقبّلهما، ويقول: **اللّهُمَّ والِ من والاهما، وعادِ من عاداهما**، ثم قال: **يا ابن عباس، كأنّي به وقد خضبت شيبته من دمه، يدعو فلا يجاب، ويستنصر فلا ينصر**، قلت: فمن يفعل ذلك يا رسول الله؟ قال: **شرار أمّتي، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي**، ثم قال: **يا**

---

(١) الشيخ المفيد، المزار: ١٢٤.

(٢) مصباح المتهجد: ٧٨٠.

ابن عباس، من زاره عارفاً بحقّه كتب له ثواب ألف حجّة وألف عمرة...»[1].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**من زار أمير المؤمنين عارفاً بحقّه غير متجبر، ولا متكبّر كتب الله له أجر مائة ألف شهيد، وغفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر...**»[2].

فعن الصادق عليه السلام قال: «**من أتى الحسين عارفاً بحقّه كتبه الله في أعلى عليين**»[3].

٣- تجاوز الجانب الذاتيّ إلى الجانب الرساليّ: ونقصد بذلك أن يتوجّه المؤمن في الزيارة لا لقضاء مصلحة شخصيّة ذاتيّة تتعلّق به؛ وإنما يزور ليعمّق إيمانه بالمُرْسِل، والرسالة، والرسول، ولكن مع الأسف الشديد أنّ الجانب الذاتي في الزيارة هو الغالب لدى معظم الزائرين كما نراه عند أغلب الناس.

يروي العارف الطهراني عن شيخه السيد هاشم الحداد إنّه كان يقول: «أرى النّاس في جميع المشاهد المشرفة يُلصقون

---

(١) بحار الأنوار: ٢٨٥/٣٦-٢٨٦ .

(٢) المصدر نفسه: ١٧٦/٥٩-١٧٧ .

(٣) المصدر نفسه: ٧٠/١٠١ .

أنفسهم بالضريح، ويضرعون باكين بالدعاء، فيقولون: أضف خرقة إلى خرق لباسنا المتهرّئ؛ ليصبح أثقل، وليس هناك من يقول: خذ هذه الخرقة مني؛ ليخفّ كاهلي؛ وليصبح ردائي أبسط وألطف وأرق!»[1].

٤- التَخُلّق بخلق المزور: ما لم يتخلق الزائر بأخلاق من يزوره، أو يحاول على الأقل أن يكتسب شيئاً من خلقه فلا تعدّ زيارته ذات جدوى؛ ولهذا ينبغي للزائر أن يقف على سيرة من يزوره من أولياء الله عزَّ وجل، أو أنبيائه، ورسله؛ ليحاول أن يحيا حياته، ويموت موته بالسير على هداه.

«اللّهُمَّ اجْعَلْني في مَقامي هذا مِمَّنْ تَنالُهُ مِنْكَ صَلواتٌ وَرَحْمَةٌ وَمَغْفِرَةٌ، اللّهُمَّ اجْعَلْ مَحْيايَ مَحْيا مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمَماتي مَماتَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ»[2].

٥- أن يبذل جهده في تخليص نيّته من كلّ شائبة غير التقرب إلى الله تعالى، وتحصيل رضاه، وليحاول في جعل كلّ

---

(١) محمد حسين الطهراني، الروح المجرد: ٢٦٠-٢٦١.

(٢) كامل الزيارات: ٣٣٠-٣٣١.

خطوة يخطوها، وكلّ كلمة ينطق بها خالصة لوجه الله، وهذا الشرط من أهمّ الشروط التي تحقّق للإنسان السموّ والرفعة بالقرب من الله تعالى؛ فإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، وعلى هذا جاء التأكيد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام؛ فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**من زار قبر الحسين وهو يريد الله عزَّ وجلّ شَيَّعَه جبرئيل وميكائيل وإسرافيل حتى يرد إلى منزله**»[1].

وقال عليه السلام: «**من زار قبر الحسين عليه السلام لله، وفي الله أعتقه الله من النار، وآمنه يوم الفزع الأكبر، ولم يسأل الله حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا أعطاه**»[2].

٦- رعاية الأدب في لقاء رسول الله صلى الله عليه وآله أو أحد خلفائه وأوصيائه في التواضع والاحترام، والخشوع، والحبّ، والشوق، فلقاؤه عند قبره كلقائه حياً؛ ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من زارني بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي**»[3].

---

(١) بحار الأنوار: ٢٠/١٠١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه: ١٤٣/١٠٠.

وفي حديث آخر: «**من حجَّ فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي**»[1].

وفي حديث ثالث: «**من زارني بعد موتي فكأنّما زارني وأنا حي**»[2].

وعلى ضوء هذه الأحاديث المرويّة من طريقي السنة والشيعة يجب على الزائر لرسول الله صلى الله عليه وآله، أو أحد أهل بيته الطاهرين عليهم السلام أن يراعي أدب الزيارة واللقاء امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾[3].

أي «﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله تأدباً، واحتراماً، ومراعاة للجو

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام: ٨٩.

(٢) المصدر نفسه: ١٠٩.

(٣) الحجرات: ٢-٣.

الروحي الرفيع الذي يخلقه حضور الرسول في المجلس، وللموقع الذي يمثله الرسول في ساحة الرسالة مما يفرض على الحاضرين حوله أن يغضوا أصواتهم عند الحديث معه، أو مع بعضهم البعض؛ ليستوعبوا فكرياً وروحياً كلماته في ما يعظهم به، أو يوجههم إليه، أو يخطط لهم من سبل، أو يفتح لهم من آفاق، وهي أمور مما يحتاج إلى كثير من الهدوء لدى سماعها، ليتعلمها الآخرون من الحضور...»[1].

وقال العلامة الطباطبائي قدس سره في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ..الخ ﴾[2]: «وذلك بأن تكون أصواتهم عند مخاطبته وتكليمه صلى الله عليه وآله أرفع من صوته وأجهر؛ لأنّ في ذلك كما قيل أحد شيئين: إما نوع استخفاف به وهو الكفر، وإما إساءة الأدب بالنسبة إلى مقامه، وهو خلاف التعظيم والتوقير المأمور به»[3].

---

(١) السيد محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن: ١٣٧/٢١ .

(٢) الحجرات: ٢ .

(٣) العلامة الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ٣٠٧/١٨-٣٠٨ .

فكما يجب التوقير له حيّاً يجب التأدّب عند قبره؛ لأن زيارته ميتاً كزيارته حياً[1]، وما لم يدخل الإنسان خاشعاً متأدّباً متأمّلاً في سيرته لا يمكن أن يحصل المرجوّ من زيارته صلى الله عليه وآله؛ ولهذا «ينبغي للزائر أن يكون واقفاً وقت الزّيارة كما هو الأليق بالأدب، فإذا طال فلا بأس متأدِّباً جاثياً على ركبتيه، غاضّاً لطرفه في مقام الهيبة والإجلال، فارغ القلب، مستحضراً بقلبه جلالة موقفه، وأنَّه صلى الله عليه وآله حيٌّ ناظر إليه ومطلّع عليه»[2].

وعند جمهور المسلمين «يتوجّه إلى القبر الكريم مستعيناً بالله تعالى في رعاية الأدب في هذا الموقف العظيم، فيقف ممثّلاً صورته الكريمة في خياله بخشوع وخضوع تامَّيْن بين يديه صلى الله عليه وآله... عالماً بأنّه صلى الله عليه وآله عالمٌ بحضوره وقيامه وزيارته، وأنَّه يبلغه سلامه وصلاته»[3].

وإلى هذا المعنى تشير بعض زيارات أئمة أهل البيت عليهم السلام:

---

(١) قال المحدث المجلسي في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا﴾: «الآية... تومئ إلى إكرام الرّوضات... لما روي أنّ حرمتهم بعد موتهم كحرمتهم في حياتهم»، بحار الأنوار: ١٢٥/١٠٠.

(٢) العلامة الأميني، موسوعة الغدير: ١٩٨/٦.

(٣) المصدر نفسه: ١٩٩/٦.

«**وَأَشْهَدُ أَنَّكَ تَسْمَعُ الْكَلامَ، وَتَرُدُّ الْجَوابَ**»[1].

وفي نصّ آخر: «**أَشْهَدُ أَنَّكَ تَسْمَعُ كَلامي، وَتَشْهَدُ مَقامي**»[2].

وفي نص آخر: «**عارَفاً عالِماً أَنَّكَ تَسْمَعُ كَلامي، وَتَرُدُّ سَلامي**»[3].

وأما آداب الزيارة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام فقد تعرَّض لها العلماء الأعلام في كتب الزيارات، ونحن نذكر هنا ما كتبه الشهيد الأول رحمه الله في الدروس، قال قدس سره: «وللزيارة آداب:

أحدها: الغسل قبل دخول المشهد، والكون على طهارة، فلو أحدث أعاد الغسل، قاله المفيد، وإتيانه بخضوع وخشوع في ثياب طاهرة نظيفة جدد.

وثانيها: الوقوف على بابه، والدعاء والاستئذان بالمأثور، فإن وجد خشوعاً ورقّة دخل، وإلا فالأفضل له تحرّي زمان الرقّة؛ لأن

---

(١) الشهيد الأول، المزار: ١٦٣.

(٢) المشهدي، المزار: ٢١١.

(٣) بحار الأنوار: ٢٩٥/١٠٠.

الغرض الأهمَّ حضور القلب؛ لتلقّي الرّحمة النازلة من الربّ، فإذا دخل قدّم رجله اليمنى، وإذا خرج فباليسرى.

وثالثها: الوقوف على الضريح، ملاصقاً له أو غير ملاصق، وتوهّم أن البعد أدب وهمٌ، فقد نصَّ على الاتّكاء على الضريح وتقبيله.

ورابعها: استقبال وجه المزور واستدبار القبلة حال الزيارة، ثم يضع عليه خدّه الأيمن عند الفراغ من الزيارة، ويدعو متضرعاً، ثم يضع خدّه الأيسر، ويدعو سائلاً من الله تعالى بحقّه، وبحقّ صاحب القبر أن يجعله من أهل شفاعته، ويبالغ في الدعاء والإلحاح، ثم ينصرف إلى ما يلي الرأس، ثم يستقبل القبلة ويدعو.

وخامسها: الزيارة بالمأثور، ويكفي السَّلام والحضور.

وسادسها: صلاة ركعتي الزيارة عند الفراغ، فإن كان زائراً للنبيّ صلى الله عليه وآله ففي الروضة، وإن كان لأحد الأئمة عليهم السلام فعند رأسه، ولو صلاهما بمسجد المكان جاز... ولو استدبر القبر وصلّى جاز، وإن كان غير مستحسن إلا مع البعد.

وسابعها: الدعاء بعد الركعتين بما نقل، وإلا فبما سنح له في أمور دينه ودنياه، وليعمم الدعاء؛ فإنّه أقرب إلى الإجابة.

وثامنها: تلاوة شيء من القرآن عند الضرائح، وإهداؤه إلى المزور، والمنتفع بذلك الزائر، وفيه تعظيم للمزور.

وتاسعها: إحضار القلب في جميع أحواله مهما استطاع، والتوبة من الذنب، والاستغفار، والإقلاع.

وعاشرها: التصدّق على السدنة والحفظة للمشهد، وإكرامهم وإعظامهم؛ فإنَّ فيه إكرام صاحب المشهد عليه الصلاة والسّلام.

وينبغي لهؤلاء أن يكونوا: من أهل الخير، والصلاح، والدّين، والمروّة، والاحتمال، والصّبر، وكظم الغيظ، خالين من الغلظة على الزائرين، قائمين بحوائج المحتاجين، مرشدي ضالّي الغرباء والواردين.

وليتعهّد أحوالهم الناظر فيه، فإن وجد من أحد منهم تقصيراً نبَّهه عليه، فإن أصرَّ زجره، فإن كان من المحرّم جاز ردعه بالضرب إن لم يجد التعنيف، من باب النهي عن المنكر.

وحادي عشرها: أنّه إذا انصرف من الزيارة إلى منزله استحبّ له العود إليها ما دام مقيماً، فإذا حان الخروج ودّع ودعا بالمأثور، وسأل الله تعالى العود إليه.

وثاني عشرها: أن يكون الزائر بعد الزيارة خيراً منه قبلها، فإنَّها تحطّ الأوزار إذا صادفت القبول.

وثالث عشرها: تعجيل الخروج عند قضاء الوتر من الزيارة؛ لتعظيم الحرمة ويشتدّ الشوق، وروي أنّ الخارج يمشي القهقرى حتى يتوارى.

ورابع عشرها: الصدقة على المحاويج بتلك البقعة؛ فإنّ الصدقة مضاعفة هنالك، وخصوصاً على الذرية الطاهرة كما تقدّم بالمدينة.

ويستحبّ الزيارة في المواسم المشهورة قصداً، وقصد الإمام الرضا عليه السلام في رجب؛ فإنّه من أفضل الأعمال»[1].

وقال الشهيد الأول رحمه الله: «وأمّا تقبيل الأعتاب فلم نقف فيه

(١) الشهيد الأول، الدروس الشرعية في فقه الإمامية: ٢٢/٢-٢٤.

على نصّ نعتد به»[1].

وجاء في كتاب الصلاة من تقرير بحث الشيخ النائيني قُدِّسَ سِرُّهُ بقلم الشيخ محمد علي الكاظمي: «ثم لا يخفى عليك أنّ مثل تقبيل الأعتاب المقدسة لم يكن من السجود بداهة عدم صدق السجود على ذلك، فهل ترى أنّه لو انكب أحدٌ لتقبيل ابنه يقال: «إنّه سجد لابنه»؟ نعم ما يفعله بعض العوام من وضع الجبهة والخدين على وجه الخضوع والتذلّل في الأعتاب المقدسة لا يبعد صدق السجود عليه، فاللازم ترك مثل ذلك.

ثم إنّه ربّما يفرق بين وضع الجبهة، وبين وضع سائر أجزاء الوجه، بدعوى أن في وضع الجبهة لا يحتاج إلى قصد السجود بل هو بنفسه سجود، إلا إذا قصد عنواناً يغاير السجود، وهذا بخلاف وضع سائر أجزاء الوجه؛ فإنّه يعتبر فيها القصد إلى السجود، وإلا فهي بنفسها ليست من السجود، وربما مال إلى ذلك شيخنا الأستاذ»[2].

---

(١) الدروس الشرعية في فقه الإمامية: ٢٥/٢، وينظر: بحار الأنوار: ١٣٦/١٠٠، وجواهر الكلام: ١٠١/٢٠، والينابيع الفقهية: ٥٠٣/٣٠.

(٢) كتاب الصلاة، تقرير بحث الشيخ النائيني، بقلم الشيخ محمد علي الكاظمي: ١٥٤/٢-١٥٥.

والحمد لله رب العالمين الذي وفّقنا لتحرير هذا القليل، وقد تمَّ في ليلة الخامس عشر من ذي القعدة سنة ١٤٢٣ في مدينة قم المقدسة.

نسأل الله تعالى أن يتقبّله منّا، ويجعله ذخراً لنا ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1].

(١) الشعراء: ٨٨-٨٩.

الفهرست

مقدمة المركز.....٧
مشروعية الزيارة.....١٣
حكمة زيارة القبور.....٢٥
فوائد رسالية اجتماعية.....٣٥
متى تترك الزيارة أثرها في نفس الزائر؟.....٥٧